لُغَة سِرِّيَّة

تأليف: نجوى الدرعاوي
رسم: فادي عطّورة

غَريبٌ أمْرُ جاري الجَديد! أمُرُّ بِجانِبِه، أُسَلِّمُ فَلا يَرُدُّ السَّلام. أسْألُهُ عَنِ اسْمِهِ فَلا يُجيبُني!
هُوَ أطْوَلُ مِنّي قَليلًا. شَعْرُهُ مُجَعَّدٌ، لَوْنُ بَشَرَتِهِ أسْمَرُ يُشْبِهُ لَوْنَ بَشَرَتي.

لا يَلْعَبُ سِوى مَعَ كُرَتِهِ السَّوْداءِ ذاتِ الخُطوطِ البَيْضاء.
أُراقِبُهُ مِنْ شُرْفَةِ مَنْزِلِنا وهُوَ يُنَطِّطُ كُرَتَه، يَقْذِفُها إلى أعْلى ثُمَّ يُحَوِّلُها بِبَراعَةٍ شَديدَةٍ مِنْ ساقٍ إلى أُخْرى.

مَرَّةً، شاهَدْتُهُ يَضْرِبُ الكُرَةَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ يَرْكُلُها بِرِجْلِه، ثُمَّ يُعاوِدُ ضَرْبَها بِرَأْسِهِ ورَكْلَها بِرِجْلِهِ وهُوَ سائِرٌ في طَريقِه.

ما شَدَّني إلَيْه، هِوايَتُنا المُشْتَرَكَة. فَهُوَ يُحِبُّ لَعِبَ كُرَةِ القَدَمِ وأنا أيْضًا أهْواها.

فَأنا قائِدُ فَريقِ الحَيّ، اسْمي «فَيْصَل»، ويُلَقِّبُني أصْدِقائي بِـ «فَيْصَل البارِع».

أُدَحْرِجُ الكُرَةَ بِمَهارةٍ ولا أتْعَبُ مِنَ الرَّكْضِ خَلْفَها في المَلْعَب. أُهاجِمُ وأُحْسِنُ التَّحَكُّمَ بِكُرَتي.

أُمَرِّرُ الكُرَةَ بِإتْقانٍ ثُمَّ أقْذِفُها بِقُوَّةٍ، أُسَدِّدُ نَحْوَ مَرْمى الخَصْمِ مُسَجِّلًا الأهْداف، فَيَتَعالى تَصْفيقُ المُشاهِدين.

قُلْتُ لِأصْدِقائي عَنْ جارِنا الغَريب: «أُتْرُكوه، فَهَذا الوَلَدُ غَريبٌ، لَعَلَّ مَهاراتِهِ في تَنْطيطِ الكُرَةِ جَعَلَتْهُ لا يُحِبُّ أنْ يَلْعَبَ مَعَ أحَدٍ. لِذَلِك، لا يُريدُ اللَّعِبَ مَعَنا».

ذاتَ يَوْمٍ، حينَما كُنْتُ عائِدًا مِنَ الملْعَبِ بَعْدَ مُباراةٍ حَماسِيَّةٍ، والعَرَقُ يَتَصَبَّبُ مِنْ جَبيني، وَجَدْتُ أمامَ بابِ حَديقَتِنا، جاري الغَريب، الَّذي لا يَرُدُّ التَّحِيَّةَ ولا يُخْبِرُني عَنِ اسْمِه. فَقُلْتُ: «وأخيرًا!». لَكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْني.

كانَ مُتَوَتِّرًا، تَتَحَرَّكُ شَفَتاهُ ويَداهُ في الوَقْتِ نَفْسِه، مِنْ دونِ أنْ يَصْدُرَ مِنْهُ صَوْتٌ.

وبَعْدَ مُحاوَلاتٍ مِنْه، عَرَفْتُ أنَّهُ يُريدُ كُرَتَهُ الَّتي سَقَطَتْ في حَديقَتِنا، واسْتَقَرَّتْ بَيْنَ أغْصانِ شَجَرَةِ التّوتِ المُتَشابِكَة.

فَأشَرْتُ إلَيْهِ بِالمُوافَقَة، فَاقْتَرَبَ مِنَ الشَّجَرَةِ وتَسَلَّقَها بِخِفَّةٍ وبَراعَةٍ.

حاوَلْتُ تَقْليدَه، إنَّما... بوووم،
سَقَطْتُ أرْضًا، فَضَحِكْنا طَويلًا.

لَكِنْ حينَما أخْرَجْنا كُرَتَه، وَجَدْناها لِلأسَفِ قَدْ ثُقِبَت.

لَمْ يَقُلْ شَيْئًا، إلّا أنَّهُ كانَ حَزينًا. يَوْمَئِذٍ، عَرَفْتُ سِرَّهُ الأكْبَر... إنَّهُ أصَمُّ وأبْكَم.

مَساءً، جَلَسْتُ أُقَلِّبُ حَبّاتِ الفاصولْياءِ في طَبَقِ العَشاءِ وأنا أُفَكِّرُ فيه.

لِهَذا، قَرَّرْتُ أنْ أحْمِلَ إلَيْهِ هَدِيَّةً صَغيرَةً.

حينَما فَتَحَ الهَدِيَّة، سُرَّ بِها كَثيرًا. كانَتْ كُرَةً جَميلَةً مِثْلَ كُرَتِهِ السَّوْداءِ والبَيْضاء.

ومُنْذُ ذَلِكَ اليَوْم، أصْبَحْنا أفْضَلَ صَديقَيْن. الجَميعُ يَسْتَغْرِبونَ كَيْفَ نَفْهَمُ بَعْضَنا.

هُمْ لا يَعْرِفونَ سِرّي: أنَّني أصْبَحْتُ بارِعًا في لُغَةِ الإشارَة!